خشية المياه عند العرب المسلمين حتى عام (٤١ هـ/٦٦١م)

د. محمد حسين جاسب الطرفي
الكلية التربوية المفتوحة
مركز القادسية

الخلاصة:

إن طبيعة المياه، لاسيما البحار والأنهار شكلت عقبة كبيرة بداية صدر الإسلام والخلافة الراشدة بسبب عدم تعايش المجتمع العربي في موطن الرسالة معها آنذاك، وعلى الرغم من تميز العقلية العربية بالشجاعة، فإن عامل الخوف من المياه كان سائداً، إذ لم يأمر الرسول (ﷺ) والخليفتان أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) بركوب البحر، أما عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) فقد اشترط اصطحاب عوائل القادة وعدم إكراه الجند إلا تطوعاً، فالإحجام عن العبور قد تبدو له أسباب منها تعرض المسلمين للهلاك وهم ليسوا بأهل خبرة، الأمر الذي عاقب عليه عمر (رضي الله عنه) لعدم امتثال القواد عن عبور البحار، فضلاً عن كون الماء يمثل فناء الحياة في قلته، وهلاك الناس في كثرته.

المقدمة:

إن موضوع المياه من المواضيع الحيوية التي تدعو لدراسات أوسع، ولعل مرد ذلك يعود إلى أنّ الباحث التاريخي يصوّب جلَّ نظره نحو الحدث الرئيس في النص التاريخي، وبعبارة أخرى السبب المحرك والموجه للأحداث ومن ثم تأتي بقية العناصر ثانوية، إذ تعد المياه جزءاً من تلك العناصر التي تأتي بشكل عرضي أو مساعد للحدث الرئيس، الأمر الذي قد يكون مكانها هامشياً للنص، إذ يغفل قسم من الباحثين المياه بوصفها عنصراً مؤثراً في الأحداث.

إن أهمية عامل الخوف من المياه جاء اثر هيمنته على شخصية الفرد العربي آنذاك، لاسيما في بداية نشوء الدولة العربية الإسلامية، إذ نجده موجهاً لأمور عدة في مقدمتها الجانب العسكري. وربما يعود ذلك إلى ما ترسب في ذهنية الفرد العربي من روافد غذت عامل الخوف، منها ما أورده القرآن الكريم عن قصة الطوفان، فضلاً عن أساطير وادي الرافدين، الأمر الذي أسهم في تضخيم عامل الخوف عند العرب المسلمين.

وقد شكلّت المياه جزءاً من الفضاء المكاني للرواية التاريخية بوصفها محوراً تدور حوله الأحداث، أو فيها. ولم ينته الأمر عند هذا الحد، إذ وردت المياه في النصوص التاريخية، فقد شكل

فيها عقدة الحدث، وعلى الرغم من ذلك نجد أنها لم تأخذ استحقاقها الطبيعي وهذا سبب اختيارنا لهذه الدراسة.

قسم البحث على تمهيد ومبحثين. شمل التمهيد موجزا عن الخشية من المياه في عصر الرسالة، ثم جاء المبحث الأول تحت عنوان: (الإحجام عن عبور المياه) والذي شمل المواضع التي تردد فيها الخلفاء الراشدون وقادتهم من خوض ركوب المياه خشية الهلاك، وتضمن المبحث الثاني: (المياه بين عاملي الخوف والإقدام)، إذ تناول تنازع الفرد العربي بين الخشية من المياه أو من نفادها الذي قد يؤدي إلى الهلاك.

بعد ذلك جاءت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، منها عدم إصدار الأوامر بركوب البحر للمقاتلين العرب المسلمين، بسبب عدم خبرتهم كونهم عاشوا في بيئة صحراوية، غير أن المسلمين قد ركبوا البحر في عهد الخليفة عثمان (ﷺ)، ولكن شرط اصطحاب القادة لنسائهم، إذا رغبوا في ذلك.

التمهيد:

إن دراسة عناصر المرويات التاريخية التي ورد فيها عامل الخوف من خوض غمار البحار والأنهار تبين وبشكل جلي أنها لم تقف عند إحجام المسلمين عن ذلك. بل نجد أن المسلمين قد تجاوزوا عقدة الخوف، إذ ذكر أن العلاء بن عبد الله الحضرمي[١](ت:١٤هـ/٦٣٥م)، هو أول مسلم ركب البحر وبذا تبين أن المسلمين قد تحولوا من الإحجام إلى الإقدام. كما أن عامل التردد والريبة من عبور المياه قد شكل محوراً تردد عبر سياقات لغوية. وهو ما لم نجده في المعارك البرية التي يكون عامل الإقدام فيها واضحاً كون المسلم سباقاً في تحقيق إحدى الحسنيين أما النصر أو الشهادة.

وقد يرد عامل الخوف والخشية من المياه في سياقات غير لغوية يفهم من سياق النص التاريخي الذي يجيز ركوب المياه بشروط وليس بشكل مطلق.

إن من يتتبع سيرة الحبيب المصطفى (ﷺ) يجد ارتباطاً وثيقاً بين عامل الخشية والماء، إذ نجد في كثير من المرويات أن هناك تلازماً واضحاً بين هذين العنصرين وإن تنوعت مظاهر ذلك التلازم، فمن أبرز ما يروى من سيرته (ﷺ) انه كان(ﷺ) في سفره يقتفي مصادر المياه،لاسيما الآبار خشية الهلاك، وهذا يتوافر في الطبيعة لأن " الناس شركاء في ثلاث: الماء والنار والكلأ "[٢].

وذكر أنه عندما خرج رسول الله (ﷺ) معه أبو بكر (ﷺ)(ت: ١٣هـ/٦٣٤م) ودليلهما عبد الله بن اريقط الليثي[٣]، أن الأخير قد " سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض أسفل من عسفان، ثم سلك بهما أسفل أمج، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما طريق بعد أن أجاز قُديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما خرّار ثم سلك ثنية المرة ثم سلك بهما

للقفا... "[٤]، ويبدو من النص أن الدليل سلك طريقاً يلتمس فيه الأمان أولاً، ووفرة المياه ثانياً، إذ سار في طرق مشهورة بوفرة المياه، لاسيما قُديد[٥]، وهو أمر بدهي لمن يقطع طرق صحراوية شاسعة لابد أن يمر بمواطن المياه التي ورد ذكر أسماؤها في مصادر التاريخ.

ولا تقف خشية الرسول (ﷺ) عند هذا المحور، وإنما هناك محور لا تقل أهميته عن الأول وفيه يبين (ﷺ) مكانة البحر في نفوس المسلمين. و روي عن أبي الدرداء أن الرسول (ﷺ) قال: " غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسدر في البحر كالمتشحط بدمه في سبيل الله "[٦]، وهنا أكثر من إشارة إلى ما يمتلك قلب الرسول (ﷺ) والمسلمين من خشية تجاه البحر فهو: أولاً ذكر (ﷺ) أن غزوة البحر تماثل عشر غزوات في البر، وكذلك أن من يغرق في البحر كالمتشحط بدمه في سبيل الله، وهذان الأمران يبينان هول الرؤية التي تتملك العقلية العربية بشكل عام تجاه البحر، فضلاً عن ذلك هناك حديث مقارب في معناه إلى الأول أنه (ﷺ) قال: " المائد[٧] في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغرق له أجر شهيدين "[٨]، ومن هنا تتضح أهمية الخشية كونها ما زالت الملمح الأبرز في تلك النصوص، ولو لم يك كذلك لما أعطى (ﷺ) هذه الأهمية من الأجر لراكب البحر الذي يكتنفه الخوف والهول والهلاك. وقد يصل الأمر إلى أن الله سبحانه وتعالى يتولى قبض روح شهيد البحر كما ورد في قول الرسول (ﷺ): " شهيد البحر مثل شهيدي البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر. وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله وان الله (ﷻ) وملك الموت يقبض كلَّ الأرواح، إلا شهيد البحر، فأنه يتولى قبض أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدَّين، ولشهيد البحر الذنوب والدّين "[٩].

وجاء الخطاب النبوي معظماً أجر من يقع في ظلماته شهيداً، ولم يكتف بمنحه هذا الأجر، وإنما ضاعفه الله (ﷻ)، فوكل قبض أرواح شهداء البحر إلى ذاته المقدسة، وتولى عز وجل غفران ذنوبهم جمعاء بما يفوق ما يحصل عليه شهداء البر.

مما تقدم يبدو لنا كراهية ركوب البحر من قبل عرب الجزيرة، ومنها ما ورد عن الرسول (ﷺ): بأنه خصص ركوب البحر بالحج والاعتمار والغزو في سبيل الله، إذ قال (ﷺ): " لا يركبن رجلاً بحراً إلا غازياً أو معتمراً أو حاج فأن تحت البحر نار وتحت النار بحر "[١٠]، وهذا دليل آخر على ما ذهب إليه الخطاب النبوي من عظمة البحر وما يكتنفه من مكاره، إذ يحاكي هذا الخطاب ما موجود في النفوس من شعور سلبي وتردد يجعل الكثير يحجم عن الإقدام، وبذلك يشجع المسلمين على التضحية في سبيل الله ويعطي منزلة الجهاد في ركوب البحر بمنزله الحج والاعتمار.

ولبيان أهمية المياه، لاسيما في تحقيق النصر على الأعداء نذكر ما روي في معركة أُحد عام (٣هـ/٦٢٤م) بين المسلمين والمشركين، إذ جاءت أربع عشرة امرأة منهن فاطمة بنت رسول الله

(ﷺ) يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويعالجن الجرحى وأخريات يحملن القرب المملوءة بالماء حتى أصاب المقاتلين العطش ومنهم رسول الله (ﷺ)[١١]، ومما تقدم نستشف أمرين:

الأول: دلالة الموقف على أهمية المياه بوصفه عاملاً رئيساً، إذ تتوقف عليه حياة المسلمين وعنصراً من عناصر تحقيق النصر إذ لولا هذه الأهمية لما أوعز الرسول (ﷺ) إلى أهل بيته وبقية النسوة بالخروج لسقاية جيش المسلمين.

الثاني: هاجس الخوف وعامل القلق من جبروت العطش وفتكه بالمحاربين وأثره في قلب موازين الحرب، وهذا لم يكن غائباً عن ذهن أقل المقاتلين دراية في الحروب فكيف وقائد الحرب هنا رسول الله (ﷺ) الذي قال فيه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)(ت: ٤٠ هـ/٦٦٠م) واصفاً شجاعته وحنكته في الحروب: " كنا إذا حمى البأس ولقي القوم اتقينا بالرسول (ﷺ) "[١٢]، فهل يعقل من هذا المحنك أن يهدر أهم أسباب النصر على الأعداء.

المبحث الأول
الإحجام عن العبور

إن من يتتبع دراسة موضوع المياه في صدر الإسلام يجد أن قسماً من الباحثين التاريخيين كانوا أقلّ عناية بهذا الأمر، ولعل مرد ذلك يعود إلى اهتمامهم بمعارك الفتوح والتحرير والتأكيد على النصر والخسارة في ساحات المعارك. وربما تركوا موضوع الماء وركنوا إلى المعارك. التي دارت رحاها على ضفاف الأنهار وشواطئ الخلجان، وجعلوه مسألة هامشية شأنه شأن العناصر الأخرى في المدونة السردية التاريخية. وكما هو معروف إن الحادثة بطبيعتها مكونة من عناصر – شخوص/ مكان/ زمان – ويصبح الماء جزءاً من الأجزاء التي تدور حولها الواقعة، وبما انه محور من محاور المكان، والمكان عنصر من عناصر الحادثة لذا يصبح الماء فعالاً ومكوناً رئيساً في تكوين الحدث. بيد أنه لم يستحوذ على فكر الراوي، إذ يصبّ المؤرخ جلَّ عنايته على الموضوعات المهمة، كذكر القادة وحنكتهم في إدارة المعارك، والأطراف المتحاربة، وذكر النتائج المترتبة، وتصبح بقية العناصر هامشاً باستثناء بعض المواضع التي شكلت حدثاً مهماً كقصة الطوفان[١٣]، وآبار بدر، ومعركة ذات الصواري[١٤]فيما عداها، يبدو أن الماء عنصر يجوز ذكره في سياق النص التاريخي، على أنه من عناصر المكان المرتبط بالبيئة التي تدور فيها الأحداث على النحو الذي حدث في معركة صفين عام (٣٧هـ/٦٥٧م).

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الماء ارتبط بالأسطورة، إذ وردت قصة الطوفان في الأساطير البابلية القديمة وكذلك في الكتب المقدسة بحيث ظلت ذكراه محفوظة في التقليد الشفاهي للعديد من الحضارات القديمة "[١٥]، وهذا جعلها في طيات الدلالات العظيمة في التاريخ الأمر الذي " طبع عميقاً

في مخيلة معاصري ذلك الزمان، بحيث تحولت الأحداث إلى أساطير منطبعة إلى الأبد في ذاكرة الشعوب "[١٦]، وخلاصة القول أن المتأمل لعنصر الماء يجد أن هناك رديفا ارتبط به وهو عامل الخوف والقلق، أما لكونه مجهولاً وهو يشير إلى طبيعة النفس البشرية في خوفها من المجهول عن طبيعة الفرد العربي الذي نشأ وتربى في بيئة صحراوية لا يدرك من الماء إلا جانباً واحداً هو ضرورة ملازمته لاستمرار الحياة[١٧]، أو لجوانب أخرى تتعلق بالمياه بوصفه عنصراً مدمراً، أو كونه من طبيعة تختلف كل الاختلاف عن البيئة الصحراوية، وهذا الأمر ربما ورد سماعاً لا معاينة، فضلاً عن الجانب النفسي المرتبط بعامل الخوف المتجذر بالإنسان العربي والمرتبط بالنص المقدس،إذ أصبح الماء وسيلة للعذاب الإلهي في كثير من المواضع.

لم يرغب العرب المسلمون القتال في فلك البحار والأنهار، وقد يرجع ذلك إلى عدم معرفتهم بركوب البحر وقد يكلفهم ذلك خسائر جسيمة، وتتفق قسم من الروايات التاريخية أن الرسول الكريم محمد (ﷺ) وأبا بكر (رضي الله عنه) لم يركبا جنودهما البحر أبدا، ذكر الطبري بما نصه: " لم يغزُ فيه النبي (ﷺ) ولا أبو بكر "[١٨]، وقد يكون مرد ذلك لعدم وصول الجيوش العربية الإسلامية في عصر الرسالة إلى ذلك، في حين تمكنت الجيوش العربية الإسلامية في أواخر عهد أبي بكر (رضي الله عنه) الوصول إلى ضفاف الخلجان وشواطئ الأنهار، لكن لم تقع معركة بحرية أو نهرية تذكرها مصادر التاريخ، إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (ت: ٢٣هـ/٦٤٣م)، وهو أيضاً كان يسير على سُنّة نبيّه وخطى رفيقه الأول، إذ أنه يحجم كثيرا عن الإقدام في معارك المياه، ذكر الطبري: " أن عمراً لا يأذن لأحدٍ في ركوبه غازياً، يكره التغرير بجنده استناناً بالنبي (ﷺ) وبأبي بكر "[١٩] وهذا يتجلى في كثير من خطاباته مع قادة جيشه، ولاسيما في معركة القادسية عام (١٤هـ/٦٣٥م) حيث راسل سعد بن أبي وقاص (ت: ٥٥هـ /٦٧٤م)، ذكر ذلك البلاذري قائلاً: " ولا تجعل بيني وبينهم بحراً "[٢٠].

يبدو مما تقدم من الروايات أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) يريد بخطاباته هذهِ أموراً عدة منها: الحفاظ على أرواح المسلمين، وان لا يكون بينه وبينهم حاجز بغية سهولة وصول المدد عند حاجة الجيوش المتقدمة لمعارك الفتح أو التحرير، فضلاً عن مركز الخلافة في المدينة المنورة، وهذه العوامل تمثل رؤيا عسكرية صرفة، إذ أنه كثيراً ما يوصي قادة الجند بضرورة الحذر والانتباه من مخاطر المياه، إذ " لا يمر بماء بذي قوةٍ ونجدةٍ ورئاسةٍ إلا أشخصه "[٢١]، لأن ذلك قد يكون سبباً في إغراق الجند وهلاكهم الأمر الذي يؤثر على الآلة العسكرية، فضلاً عن فقدان مؤنهم ومعداتهم القتالية، ولا يتوقف عند هذا الحدّ بل يتابع الخليفة (رضي الله عنه) أحوال الجند من المخاطر التي قد تحدق بهم من أثر المياه، فيوصي سعدا قائلاً له: " فأبعث سلمان رائداً وحذيفة وكانا رائدي الجيش فيرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحراً ولا جسراً "[٢٢].

ويبدو من دراسة النص أن هذه الرسالة تضمنت خمس نقاط:

١- إرسال أهم القادة لاستطلاع الأراضي المحيطة بالجيش ليكون منزلاً لائقاً بغية الاستقرار.

٢- أن يكون المسكن برياً مرتبط بالطرق وعقد المواصلات التي توصل إلى مركز خلافة الدولة العربية الإسلامية[٢٣].

٣- أن يكون بحرياً قريباً من مشارب الماء بعيداً عن مخاطره.

٤- ألّا يحجز حاجز بين العاصمة والولايات التي فتحت في العراق ومنها البصرة، الكوفة، والأنبار.

٥- أمر بأن لا يحول بحر ولا جسر بينه وبين عساكره، لأنه كان يعرف مخاطر البحار، ويحذر من أن يجعلوا جسراً قد يكون سبباً في قطع الطريق على الجيوش.

والأمر اللافت للنظر أن الخليفة عمر (ﷺ) كان يطلق على النهر لفظة البحر، وهذا دليل لما ذهبنا إليه من خشيته من المياه، إذ أن الأمر كان على ضفاف نهر الفرات في العراق، وليس بحراً على النحو الذي يتصوره القارئ اللبيب.

والخشية من المياه قد تكون لها أسباب، الأمر الذي يدعو إلى الإحجام عن ركوبها. إذ ذكر أن الخليفة عمر (ﷺ) كان قد بعث علقمة بن مجزّر المدلجي إلى الحبشة في البحر بعدما أغاروا على المسلمين من أهل بلجة فأصابوهم في عشرين مركباً إلى الحبشة، فأغاروا عليهم ولم يحمل بعدها مسلم في البحر[٢٤]، وهذا يعني خشية الخليفة على المسلمين على الرغم من تحقيق الهدف وهذا عائد إلى أمر آخر، إذ ذهب صحابيّ جليل غرقاً في البحر، رغم معرفته بعدم تعرض أمته للغرق، ولكنها الخشية، إذ قال الرسول (ﷺ)" إني صليت صلاة رغبة ورهبة فسألت الله ثلاثاً فأعطاني أثنين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي غرقاً فأعطانيها... "[٢٥].

إن خطابات الخليفة عمر (ﷺ) واضحة، ولاسيما من مخاطر المياه ولتأكيد ذلك دليل آخر حين راسل الخليفة عمر (ﷺ) القائد عمرو بن العاص عندما توجه لمصر فاتحاً عام (٢٠هـ/٦٤٠م) قائلاً له: " لا تجعل بيني وبينك ماءً، وأنزلوا موضعاً متى أردت أن أركب راحلتي وأصير إليكم فعلت "[٢٦].

إن هذه الرسالة موجهة لقادة جيوش المسلمين الرابضين على الثغور بمصر وغيرها لكون اغلب جيوش المسلمين هم من أرض الجزيرة العربية، إذ أن هؤلاء لا يتمتعون بإمكانية عبور الأنهار والخوض فيها إلا القليل منهم الأمر الذي يدعوهم للحفاظ على أرواحهم وعدم تعرضهم لأذى يمكن تفاديه وتحاشي أخطاره، وهذا الإحجام يدل على ما ذهبنا إليه من خشية المياه.

وفي موقف آخر همَّ به معاوية بن أبي سفيان (ت:٦٠هـ/٦٧٩) عندما أراد دخول مدن بلاد الشام وخوض معركة مع الروم البيزنطيين، وكان الأمر يتطلب عبور الجند إلى الضفة الأخرى ولوجود أوامر من الخليفة عمر (ﷺ) تدعو إلى عدم فعل ذلك، أرسل معاوية خطاباً إلى الخليفة قال

فيه: " إن قرية من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم "[٢٧]، الأمر الذي أثار الحماسة في نفس الخليفة (ﷺ) عندما قرأ كتاب معاوية، ذكر الطبري أنه " كاد يأخذ ذلك بقلب عمر "[٢٨]، ولكنه تمعّن (ﷺ) قول معاوية، وراسل غيره من القواد في ذلك المكان ليزداد معرفة بظروف المياه الفاصلة بينه وبين عدوه مخاطباً عمرو بن العاص قائلاً له: " صف لي البحر وراكبه فأن نفسي تنازعني إليه "[٢٩]، وهذا يدل على خشيته وقلقه من البحر من خلال قوله ـــ نفسي تنازعني إليه ـــ "والنزع بمعنى الاقتلاع "[٣٠]، أي روحه (ﷺ) تقتلع من هول البحر وبين الغاية التي يريد من أجلها ركوب المياه، فيجيبه عمرو واصفاً ذلك بما نصه: " إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلوب، إن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلّة، والشك كثرة، هم كدود على العود، إن مال غرق، وإن نجا برق "[٣١].

يبدو مما تقدم أن عمرو وصف البحر في ثنائية لا يفارقها الخوف والوجل، وتلك الثنائية مبنية على التضاد إن ركن /تحرك، قلة/ كثرة، مال/ غرق، نجا/ برق، وهذا التضاد نابع من حالة الاضطراب والصراع النفسي الذي تعيشه النفس العربية من ذلك المجهول المتمثل في البحر والنهر، وحين قرأ الخليفة كتاب عمرو أجابه قائلاً: " لا والذي بعث محمد [ﷺ] بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبدا "[٣٢].

بقي الخليفة (ﷺ) في حيرة من الخطابين: خطاب معاوية أنه يسمع النباح والصياح لقربه من قرى العدو، وبين خطاب عمرو بن العاص في وصفه البحر الذي تتلاطم أمواجه، إذ كان الفاصل المكاني بين جيوش المسلمين وعساكر المشركين مسافات قليلة وما يعرف عن عمر (ﷺ)، لاسيما بتوجيه القادة لفتح البلدان واجتياز الجبال والسهول، إلا أنه يتوجس خيفة من البحر وطبيعته المرعبة، فضلاً عما يتركه من آثار نفسية في نفوس المجاهدين، الأمر الذي جعله يحجم عن إقدام جيوشه في مهاجمة العدو، ويقسم قسمه الغليظ الذي مرَّ ذكره آنفاً في عدم المجازفة بأرواح المسلمين، وهذا هو ديدن القواد في تأمين حياة جنودهم. إلا أن معاوية لم يكتف بما طلب بغية إقناع الخليفة عمر (ﷺ) لعبور المياه بسبب قربه من العدو، الأمر الذي جعل الخليفة (ﷺ) يكتب إلى قائد جيشه بما نصه: " بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض، فيستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يغرق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر، وبالله لمسلم واحد أحبُ إليَّ مما حوت الروم، فإياك أن تعرّض لي في ذلك فقد علمت ما لقي العلاء مني "[٣٣].

ومن هذا يتضح أن معاوية بنى موقفه على الرواية والسماع، فضلاً عن أن الخليفة لم يرَ البحر شأنه شأن أغلب سكان شبه الجزيرة العربية، إذ أن البيئة الصحراوية هي التي رسخت في ذهنية العربي، ومن ثم فأن طبيعة البحار تشكل جانباً من المخيال العربي، والذي يدل على ذلك ما

أورده عمر (ﷺ) في قوله – إنا سمعنا– أي أنه لم يشاهد البحر، وإنما ورده عن طريق السماع، وقد أضفى على البحر نوعاً من الانسنة بأنه – بحر كافر– أي أنه من طبيعة الإنسان، إن شاء آمن وإن شاء أبى وكفر، بيد أن الخليفة ربما أراد بصفة البحر – بالكافر – أن يشير إلى مسألة مهمة مرتبطة بسياق الكلمة لغوياً، إذ أن الكفر في اللغة هو" الستر والغطاء"[٣٤]، ومن هنا فأن المراد بوصفه للبحر بأن من يدخله يُعد مفقوداً، لاسيما من يجهله، وكما أسلفنا فأن أغلب العرب لم يكونوا قد ركبوا البحر، وهذا يعني أن من يدخله سيغيب عن الأنظار، وكأنه يستر عليه فلا يرى.

إن هذا يدلل على أهمية وعظمة البحار التي بدت في مخيلة الخليفة عمر (ﷺ) النابعة من القلق والخوف من عدم النجاة وإلحاق الأذى في جيوش المسلمين، فضلاً عن كون البحر صعب الانقياد، إذ هو الذي يقودنا إلى مصير لا نحن الذين نقوده، ودليل ذلك ما ورد في القرآن الكريم لقوله تعالى: " إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ "[٣٥]،.وكلمة طغى تعني " مجاوزة القدر "[٣٦]، وهنا أصبح الماء عنصر قلق بوصفه قد جاوز حده،وهو ما يشكل عامل خوف يضاف إلى بقية العوامل التي ترسبت في ذهنية الفرد العربي تجاه المياه.

يتضح مما تقدم أن الخشية قائمة من المياه، إذ حذر الخليفة (ﷺ) قائد الجيش ـــ الذي طلب عبور المياه ـــ تحذيراً شديداً في قوله ـــ إياك ـــ وهذا أمر قطعي قطعه على قائد جيشه ويحذره لقابل الأيام فيما إذا أراد أن يجازف ويخاطر بالهجوم على الروم عبر البحر كي يحفظ أرواح المسلمين، لاسيما وإنه قد ذكرّه بما فعله بالعلاء بن الحضرمي – الذي مرَّ ذكره – عندما هاجم الفرس عبر البحر، ولم يكترث للأوامر، إذ كانت عقوبته صارمة ودرساً لمن يخالف ذلك مستقبلاً، كونه ذكرَّ معاوية أنه لم يبلغ العلاء كما بلغت أنت من تحذير، وهذا أن دلَّ على شيء فإنما يدلُ على العقوبة القاسية إذا ما خالفها معاوية فيما بعد.

ومن دلائل الخوف التي يمكن الإشارة إليها ما دار حول ضفاف الأنهار، إذ كثيراً ما يتحاور الأعداء، لاسيما عند وقوف الطرفين كلٌ على ضفته يريد الهزيمة بصاحبه فيبدأ الحوار بالقول: " تعبرون إلينا أو نعبر إليكم "[٣٧]، وهذه ليست وليدة معركة بعينها وإنما على امتداد المعارك الواقعة على ضفاف الأنهر، لاسيما عصر الخلافة الراشدة. ومن تلك المعارك معركة الأبلة عام (١١هـ/٦٣٢م) ومعركة الجسر[٣٨] عام (١٢هـ/٦٣٣م)، ومعركة الفراض عام (١٢هـ/٦٣٣م) التي توجز خشية المسلمين من الماء، إذ تُعد من أهم المعارك التي اشترك فيها وتعاهد على خوضها جمع من المشركين، إذ " أجتمع المسلمون بالفراض وحميت الروم وأغتاضت واستعانوا بمن يليهم، لاسيما مسالح[٣٩] أهل فارس واستمدوا قبيلة تغلب وإياد[٤٠] والنمر[٤١] فأمدوهم"[٤٢].

ومن خلال ما تقدم يتبين أن المشركين في هذه المعركة لم تجمعهم كلمة أبداً كونهم خصوماً متكارهين عبر التاريخ (فرس، روم، عرب مشركون). وجاء هذا التحالف ضد الدين الإسلامي لإيقاف مده. وحين وقف الفريقان للاقتتال نادى مناد فريق الشرك أن تعبروا إلينا، ومن هنا يبدأ القلق والخوف المتجذران في النفس العربية من المياه يأخذ مكانه، لأنه يخالف بيئتهم، إذ يقف خالد بن الوليد قائلاً لأعدائه: " بل أعبروا إلينا "(٤٣)، وهذا القول يؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه في خشية خوض غمار المياه ؛ لأن المسلمين في جل معاركهم البرية كانوا في هجوم دائم لا في موضع المدافع، وقد ذكر ابن الأثير: " فلما بلغوا الفرات قالوا له [أي لخالد] أما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم قال خالد: أعبروا. قالوا له: تنحى عن طريقنا حتى نعبر. قال: لا أفعل ولكن أعبروا أسفل منا فعبروا أسفل من خالد "(٤٤). وبعد حوار الأعداء اتفقوا أن من يناديهم " رجل يقاتل على دين، وله عقل وله علم، والله ليُنصرنّ ولنُخذلنّ "(٤٥)

مما تقدم يمكن التوصل إلى الأمور الآتية:

١- تخَلص خالد بن الوليد من أهم المخاوف التي كانت عائقاً لملاقاة عدوه وهي الطبيعة المتمثلة بالماء.

٢- إن عبور المشركين إلى جانب الضفة التي يقف فيها المسلمون تُعد مكسباً عسكرياً؛ لأن العابر في الماء يدفع ثمن العبور، لاسيما من متاعب وجهد نفسي.

٣- اعتراف المشركين بحنكة خالد، ولاسيما قولهم – صاحب عقل ودِين – يعطي دلالات مهمة منها: ذكرهم بأنه صاحب عقلية عسكرية، وأن عقيدته هذه تدفعه للتضحية بنفسه حتى الشهادة بما تعطي إشارات واضحة للجند تعزز قدراتهم المعنوية وتضعف أعدائهم في جيوش المشركين.

٤- كانوا على يقين أن الله ناصر المسلمين، وهذا اعتراف ضمني بأن الرسالة التي يقاتل من أجلها المسلمون هي رسالة إلهية.

٥- إن التحام واتحاد قوى الشرك تدل على صعوبة الموقف الذي يمرون به.

٦- عدم سماح خالد لهم بتنحية جيشه لعبور المشركين تُعد خطة عسكرية ناجحة وهي عدم اختراق صفوفه الأمامية لطلائع جيش المسلمين.

المبحث الثاني
المياه بين عاملي الخوف والإقدام

إنَّ أغلب المعارك التي خاض غمارها العرب المسلمون، لاسيما في عصر الرسالة والخلافة الراشدة تميزت بصفة الإقدام والهجوم باندفاع المسلمين لنشر عقيدتهم الإسلامية التي أيدها الله (ﷻ) بالقرآن الكريم والسُنّة النبوية المطهرة، فضلاً عن افتخار العرب بصفة الإقدام كما يؤكد ذلك

الموروث العربي، إذ يأنف المحارب العربي من أن يطعن من الخلف كما ورد في الشعر العربي المتمثل بقول الحسين بن الحمام المري[٤٦]:

لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما[٤٧]

ومما هو معلوم أن الشعر يدفع المقاتلين إلى أن يشمروا عن سواعدهم عند الحرب وبث روح الحماس[٤٨] لما له من وقع في النفوس.

إن التنافس الشريف، والتسارع لكسب الظفر على الأعداء دفع العلاء الحضرمي بالإقدام على الفرس عبر البحر من دون التفكير بالعواقب، وما تؤول إليه الأمور، على الرغم أن الخليفة عمر (ﷺ) نهاه عن ذلك لكن حين سمع بـــ: " ظفر سعد بأهل القادسية، وأزاح الأكاسرة ... فأراد أن يصنع في الفرس شيئاً، ولم ينظر في الطاعة والمعصية، وقد كان عمر [ﷺ] قد نهاه عن الغزو في البحر ونهى غيره أيضاُ إتباعاً لرسول الله (ﷺ) وأبي بكر "[٤٩]، شرع بالهجوم عبر البحر لفتح بلاد فارس. ومن خلال دراسة النص يتبين الآتي:

١- إن سبب اندفاع العلاء الحضرمي هو منافسة سعد بن أبي وقاص للنيل من الفرس وإحراز الدرجات المتقدمة في سلم القيادة.

٢- أراد أن يسجل موقفاً متميزاً يزف فيه بشرى إلى الخليفة والمسلمين باجتيازه البحر.

٣- إن العلاء أشار إلى صنعه وكأن لسان حاله يقول إن كان سعداً قاتل على نهر الفرات في القادسية، فأنا أقود الجيوش عبر البحر لأقاتل الفرس في عقر دارهم.

إن ما قام به العلاء يُعد غير جائز في نظر الخليفة ـــــــ فضلاً عن الكثير من قادة المسلمين ـــــ لما كانوا يخشونه من ركوب البحر وعدم الإقدام في خوض غماره الأمر الذي جعله في موضع العصيان وعدم طاعة أوامره (ﷺ)، إذ عبرت جنوده من البحرين إلى فارس فخرجوا عند اصطخر[٥٠] فحالت الفرس بينهم وبين سفنهم حتى صعب عليه الأمر عند العودة، فغرقت بهم سفنهم[٥١] على الرغم من مناشدة العلاء جنده وقادته بضرورة التحلي بالصبر، ذكر ابن الأثير انه قال قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[٥٢]، فأصبح في موقف لا يحسد عليه بين عدو شرس متمرس يقف أمامهم ويطوقهم، وبين بحر عميق خلفهم. ولما بلغ الخليفة عمر (ﷺ) هذا الأمر أرسل عتبة بن غزوان من البصرة جيشاً كثيفاً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المسلمين، فاقتتلوا وفتح الله على المسلمين[٥٣]، وعلى الرغم من مكانة العلاء الحضرمي،واندفاعه البطولي،فإن الخليفة عمر (ﷺ) قام بعزله إذ أمر سعداً عليه خشية البحر. وما أوداه من مجازفة أدت إلى هلاك جيش المسلمين [٥٤]، على الرغم من المكانة التي يتمتع بها في

عهد الرسول (ﷺ). إذ ذكر الطبري: إنه كان من كتاب الوحي، وكان سفير رسول الله (ﷺ) إلى البحرين[٥٥]، فضلاً عن قتاله المرتدين في البحرين[٥٦].

إن الصراع مع الطبيعة، ولاسيما الماء تارة يكون من أجل البقاء وديمومة الحياة، وتارة أخرى يتعاضد مع أحد طرفي النزاع فيكون عوناً له على الطرف الآخر. ففي نهاية خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد يستمده العون والرجوع من العراق إلى بلاد الشام لخوض معركة اليرموك عام (١٣هـ/٦٣٤م) مع الروم البيزنطيين وكانت هناك مجموعة من الأسباب من قبيل شدّة الحر وبعد المسافة، فضلاً عن عدم معرفة خالد بالطرق التي تؤمن المياه كل هذا أدى إلى اتخاذ دليل من قبل خالد يتلمس لهم مشارب المياه [٥٧]، فقال له الدليل: " أنك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال، والله الراكب المفرد ليخافها على نفسه، وما يسلكها إلا مغروراً، إنها لخمس ليالٍ جياد لا يصاب فيها ماء مع مضلتها "[٥٨].

إن هذا مسوغ واضح سببه وعورة الطريق، وعدم وجود الماء بين البلدين، فكان إقدام خالد أقوى من الموت وأكثر تحدياً للطبيعة القاسية آنذاك لتنفيذ الأوامر الصادرة إليه بدليل قوله للدليل بما نصه: " ويحك انه والله وان لي بدّ من ذلك، أنه قد أتتني من الأمير عزمه بذلك، فمر بأمرك "[٥٩].

وهنا تتجلى قضية احترام القائد وطاعته؛ لأن القائد يرى أن مصلحة الدولة العربية الإسلامية فوق أي مسألة أخرى. ولغرض الإقدام وعدم الإحجام لمواجهة التحدي والخشية من نفاد المياه، قام خالد بالاستكثار من الماء وهذا ما شار إليه الطبري بقوله على لسان خالد: " استكثروا من الماء، من استطاع منكم أن يصر آذان ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله "[٦٠].

يتضح من النص أن المسلمين وقادتهم يذودون عن الإسلام على الرغم من الصعوبات التي قد تلاقيهم، لاسيما من العطش الذي ينتظر جيشاً بأكمله في الفيافي القفار، وكذلك يشير إلى مسألة في غاية الأهمية ألا وهي هلاكهم فيما إذا نفد الماء. وحين تلمس الدليل إصرار خالد بن الوليد على ذلك قال: " أبغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مسان، فأتاه بهن خالد، فعمد إليهن فضمأهن حتى أجهدت عطشا أوردهن فشربن حتى إذا تملأن عمد أليهن فقطع مشافرهن ثم كمعهن لئلا يجتررن ثم أخلى أدبارهن "[٦١].

إن هذا العمل الدقيق في حمل الماء في أكراش الإبل بعد أن جعلها ضمآى لتحمل أكثر قدراً من الماء، وقطع المشافر حتى لا يجتررن ويذهب الماء المخزون هباءً، مكن الجيش من النجاة وتحقيق الغاية والهدف.

لقد كان الخوف يساور خالداً من نفاد المياه وهو مقدم على عمل حربي فكان كلما" نزل منزلاً افتظ أربع من تلك الشوارف فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من

الماء"[٦٢]، غير أن طول الطريق أنفد شرابهم من الماء. كما أن خالدا استفسر من الدليل عن وجود الماء، فقال له وهو أرمد لا يرى شيئاً: " أن هناك شجرة من عوسج[٦٣] كقعدة الرجل قالوا: ما نراها قال: أنّا لله وإنا إليه راجعون! هلكتم والله وهلكت؛ لا أباً لكم "[٦٤]، إذ أصبح القوم جميعاً في يأسٍ شديد، لاسيما بعد نفاد المياه، فالموت المحتوم مرهون بهذه الشجرة وعندما رآها المسلمون كبروا وحفروا في أصلها فاستخرجوا عينا، فشربوا حتى روي الناس[٦٥].

وبذلك حسم الصراع مع الطبيعة وبلغ المسلمون غايتهم المرجوة لديمومة الحياة الذي كادت أن تقهرهم.

يبدو مما تقدم أن الأحداث التاريخية حققت ثنائيتين متضادتين – الحياة والموت – فتجسد طرف الموت بقراع الصحراء المهول لعزيمة الجيش المناطة بخالد بن الوليد من جهة وحسن تدبير من جهة أخرى، في حسم الصراع مع الطبيعة القاتلة لمتحديها بوفرة شريان الحياة – الماء – بعد تصنيفه إلى حيواني يخزن في كراش، وبشري يحمل على حدبها.

إن للمياه أهمية كبيرة في حياة الناس، بيد أنها قد تستعمل بوصفها وسيلة للوقاية من الخصوم، ففي خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما أراد إكمال تحرير بلاد الشام من الروم البيزنطيين، ونشر الإسلام وجد أن قوتهم تتميز بالخبرة والمطاولة لما لهم من مراس، إذ توجهت الجيوش العربية الإسلامية إلى فحل[٦٦] عام (١٣هـ/٦٣٤م)، بقيادة أبو عبيدة عامر بن الجراح[٦٧]. ذكر الطبري: " رأت الروم أن الجنود تريدهم بثقوا المياه حول فحلْ فأردغت الأرض ثم وحلت، واغتم المسلمون من ذلك فحبسوا عن المسلمين "[٦٨].

يبدو من النص المتقدم أن الخطة العسكرية للروم كان لها الأثر الكبير في أعاقة تحرك الجيش الإسلامي بإحاطتهم فِحل بالمياه، إذ أصبحت وحلة لا يمكن القتال فيها، وفعلهم هذا يظهر أنهم قد أخضعوا الطبيعة لمنطقهم، لاسيما عنصر الماء الذي هو مبعث خوف عند العرب – كما أسلفنا – ولكن الإرادة الإلهية غلبت الدهاء والمكر البيزنطي لقوله تعالى: " وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ "[٦٩]، وبذلك حاصروا أهل الشام نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق ... فوجودهم وهم حيارى لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل فركبوه ولحق أوائل المسلمين بهم وقد وحلوا فركبوهم ... فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة في فحل "[٧٠]، وهنا انقلبت المعادلة النفسية المتجسدة في اطمئنان الروم بالنصر بفعل المكر والخديعة إلى خوف جسد هزيمتهم، وتخلص المسلمون من الهاجس المريع لأول مرة إلى عمل الاطمئنان والنصر المبين، فأصيب الثمانون لم يفلت إلا الشريد، وكان الله (عز وجل) يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البثوق فكانت عونا لهم على عدوهم "[٧١].

مما تقدم يمكن القول أن معركة فحل كانت من المعارك الكبرى التي اهتم بها المؤرخون بدليل قتل ثمانين ألف من أعداء الإسلام، فضلاً عن الفعل الإلهي الذي كان له الأثر الأعظم في انتصار المسلمين؛ لأنهم كرهوا ما حصل لهم من طوفان الماء وهم يخشونه، إذ أصبح آلة عسكرية قاتلة لعدوهم. ويبدو أن خسارة الروم وانتصار المسلمين لم يكن بفعل السيف فقط، وإنما كان بفعل تخلص المسلمين من هواجسهم، والإعداد الدقيق للخطط العسكرية، في تحقيق النصر في بيئة لم يعتدها العربي من ذي قبل،لاسيما في معارك لعبت فيها المياه أثرها.

استمرت الخشية من المياه وعدم الخوض فيه إلا أن معاوية بن أبي سفيان طالت وكثرت مراسلاته مع الخليفة عمر (ﷺ) لخوض معارك البحر فلم يؤذن له يوم من الأيام، إلا انه عاد في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان (ﷺ)(ت: ٣٥هـ/٦٥٥م) لعله يحصل على الموافقة بركوب البحر، فكان الخليفة عثمان (ﷺ) قد رأى رأي الخليفتين أبي بكر وعمر (ﷺ) وكان صائباً في هذا المضمار، ولكن إصرار معاوية وكثرة مراسلاته جعله يوافق، غير أن موافقته (ﷺ) لم تقم إلا بشروط دقيقة، لا يمكن لأي شخص قبولها ما لم يكن متأكداً من العبور أولاً، ومن تحقيق الانتصار ثانياً، وكتب الخليفة خطاباً لمعاوية، ذكره البلاذري بقوله: " فإذا ركبت ومعك امرأتك فأركبه مأذوناً لك وإلا فلا "[٧٢]، فأراد الخليفة في هذا الأمر الحرج والمخيف أن يجعل معاوية أكثر تدارساً وتدبراً لفعله من النواحي الآتية:

١- إن لا يجازف بعِرضه وشرفه لعدوه، إذ ستكون زوجته سبيةً للروم.

٢- لا يمكن أن يركب البحر ويغرق الناس في مياه تتلاطم بها الأمواج، فإذا كان يستطيع أن يفعل هذا بجنده فهو بلا شك لا يستطيع أن يفعله بأهله.

٣- أراد أن يعطي درسا لقادة الجيوش بان يحرصوا على جندهم كحرصهم على عيالهم.

٤- أن يجعل القائد مسؤولاً عن سلامة جنده، وهذا تأكيد لقول الرسول (ﷺ): " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته "[٧٣].

غير أن الإقدام والاندفاع لخوض معركة قبرص عام (٣٧هـ/٦٥٧م) جعلت قسماً من المسلمين يقبلون ما يمليه الخليفة (ﷺ) الذي حدد لمعاوية سابقاً شروط ركوب المقاتلين البحر في قوله: " لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم. خيرّهم فمن اختار الغزو طائعاً فأحمله وأعنه "[٧٤].

إن هذا الأمر يؤكد على الخشية المتجذرة من المياه وحرص القادة على حياة المسلمين من الهلاك وسط البحر، الأمر الذي جعل قائد الجيش في خيارين لا ثالث لهما، فمن تطوع فانه يحمل على ظهور السفن، ومن أبى يترك وشأنه، وهذا يعني أنه عمل تطوعي لا أكراه فيه، ويبدو مخالفا لقواعد الجيش؛ بسبب عدم رغبة الخليفة تحمل أوزار راكبي البحر أمام الله والناس عامة، وهذا يدل

على حرص الخلفاء بأهمية الحفاظ على أرواح المسلمين من مخاوف البحار، وعدم الإقدام فيها لما تقع من كوارث لا يحمد عقباها. وعلى هذا الأساس وعلى وفق شروط الخليفة فقد حمل معاوية زوجته " فاخته بنت قرضه "[٧٥]، وحذا حذوه كبار المسلمين، ومنهم عبادة بن الصامت[٧٦](ت: ٣٤هـ/٦٥٤م) الذي أركب زوجه حرام بنت ملحان الأنصارية[٧٧]، وبهذا الفعل أكد القادة أمرين أساسيين هما:

١- أما النصر المؤزر على الروم.

٢- او الشهادة في سبيل الله.

وقد تمكن المسلمون من ركوب البحر متجاوزين عقدة الخوف، وفتح الله عليهم بالنصر وكسر ذلك الطوق المستفحل في العقلية العربية من المياه وما فيها من مخاطر، الأمر الذي حقق ذلك وتجاوزوه، فضلاً عن إقدام المسلمين وتخطيط القادة وإصرارهم بعد الالتزام التام بشروط الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وحرصهم سوية في ذلك النصر عبر المياه على الروم البيزنطيين.

إن المتأمل في معارك المياه يجد أن نهر الفرات أخذ من المسلمين كثيراً بين غريقٍ فيه، أو قتيلٍ على ضفتيه، لاسيما في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في معاركه لنشر الإسلام ضد الفرس الساسانيين وهذه التضحيات جعلته آمناً في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) من منبعه حتى مصبه، وعاد تارة أخرى في خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت٤٠هـ/٦٦٠م) يقتتل المسلمون عليه، وأتخذ الماء سلاحاً وآلة عسكرية قاتلة، لاسيما في معركة صفين عام (٣٧هـ/٦٥٧م)[٧٨]، إذ جاءت جيوش الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لملاقاة جيش الشام بقيادة معاوية الذي أعد خطة محكمة لمنع عدوه من الماء، وذكر أن معاوية سبق الإمام علي (عليه السلام) إلى صفين وعسكر في سهل افيح وفيه الشريعة، لأنه لم يكن على الفرات في ذلك الموضع أسهل منها للوارد إلى الماء وما عداها اخراق عالية ومواضع وعرة[٧٩]، فقيل لمعاوية " حلتم بين الناس والماء، فخلِّ بينهم وبينه "[٨٠].

من خلال ما تقدم يتبادر إلى القارئ اللبيب أن العملية كانت طبيعية لا تشوبها حيلة ولا تخطيط، إلا أن المتتبع يجد أن معاوية أمر أحد قادته بالدفاع عن المشرعة بجيش قوامه" أربعين ألفاً ... وبات علي [عليه السلام] وجيشه في البر عطشا قد حيل بينهم وبين الورد إلى الماء "[٨١]. فأصبحت المعركة على الماء، فأدرك عمرو بن العاص ذلك وأفصح عنها في قوله:" إن علياً [عليه السلام] لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفا من أهل العراق وسيوفهم في عواتقهم، ولكن دعهم يشربون ونشرب "[٨٢]، إلا أن معاوية أكد إصراره، والدليل على ذلك قوله: " لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان"[٨٣]، فأصبح الأمر معقدا لان الإمام علي (عليه السلام) واجه أمرين: أما الموت المحقق لجيشه من عدم توافر الماء، أو أن يتخذ موقفاً لإنقاذ الناس؛ لأن معاوية مصرّ على رأيه وهو القائل: " لا سقاني الله ولا

أبا سفيان من حوض رسول الله [ﷺ] أن شربوا منه أبدا "[٨٤]، الأمر الذي جعل من الإمام علي (عليه السلام) إلى أن يدعو مالك الأشتر[٨٥] لخوض معركة شرب الماء مع جيش الشام، فيكون المنتصر هو الشارب والغلبة لمن حصن موضعه على ضفاف نهر الفرات، ذكر اليعقوبي ما نصه: " فوجه علي الأشتر والأشعث ... حتى صارت سنابك الخيل على الفرات وغلبوا على المشرعة "[٨٦]. إذ تغيرت موازين القوى وتحول خوف أهل الشام لعدم امتلاكهم مصدر الحياة – الماء – إذ تعذر على جند معاوية أخذ الماء من جند علي[٨٧]، ولمعرفتهم الحقة لشخص الإمام علي (عليه السلام) ـــــــ وهو أمر لا ينكره عدو ـــــــ جعل عمر ابن العاص يخاطب معاوية وغيره قائلاً: " أن علياً لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحللت منه ومن أصابه[٨٨]، وبذلك كان الظن حقيقة فسرعان ما قال الإمام علي (عليه السلام) بما نصه: " خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا معسكركم، وخلوا بينهم وبين الماء، فأن الله نصركم ببغيهم "[٨٩].

خلاصة ما تقدم يبدو أن هناك تقاطع في ثنائية وجدت بين الحياة وبين الفناء سواء أكان في المحاورات أم في ساحات القتال تمثل الأولى – الحياة – في المعسكر العراقي، فضلاً عن الخلق العظيم الذي يحمله قائدهم (عليه السلام) الذي تربى مع الرسول الكريم محمد (ﷺ)، وتمثل الثاني في المعسكر الشامي الذي عمد بقتل الناس عطشاً، وكلاهما يخاطب الإحساس الإنساني المرهف بأعلى درجات القراع والفزع، ويقف التاريخ بينهما ليسجل بموضوعية ما مرّ من عطش تجاه قلة المياه او طغيانها.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة بين ثنايا المصادر التاريخية توصل الباحث إلى بعض الاستنتاجات كان أبرزها:

١- إن إحجام كثرة العرب المسلمين في عصر الرسالة والخلافة الراشدة من خوض غمار البحار، جاء بسبب البيئة الصحراوية التي تربوا فيها.

٢- لم يكن العرب ذوي خبرة في ركوب البحر، بسبب ابتعادهم عن الحروب بين الروم البيزنطيين والفرس الساسانيين.

٣- لم يغز رسول الله (ﷺ) والخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) في البحار ولم يأمرا بذلك.

٤- تميز القادة بالخبرة العسكرية، الأمر الذي يدعوهم لاتخاذ طرق تؤمن توافر المياه للجند على الرغم من بعد المسافات.

٥- لشدّة هول القتال في البحر تعد كل غزوة فيه بعشر غزوات في البر.

٦- حفظ الإسلام حقوق الشهيد، ولاسيما في البحر بأن له أجر شهيدين من شهداء البر.

٧- إن دوافع الخوف عند العرب المسلمين، كان بسبب ما ترسب في ذهنية الفرد العربي المسلم من أحداث مهولة كالطوفان.

٨- عدم إصدار أمر للقادة بخوض غمار البحار عهد الرسول (ﷺ) والخليفتين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) حفاظاً على أرواح المسلمين.

٩- إن السماح للقواد في عهد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بركوب البحر كان مشروطاً باصطحاب زوجاتهم أو رغبة المقاتلين طوعاً في التوجه للحرب.

١٠- بيّن الخليفة عمر (رضي الله عنه) على ضرورة ألّا يكون بينه وبين قادته حاجز يعيق الوصول إليهم متى شاء، فضلاً على إمكانية تأمين المدد.

١١- محاسبة كل قائد عسكري يجازف بحياة المسلمين ولا يمتثل لطاعة الخليفة (رضي الله عنه).

الهوامش وتعليقات البحث:

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٥٩/٤ – ٣٦٣ ؛ الزركلي، الأعلام، ٢٤٥/٤.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيين، ١١٤/١٧.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٥/٤.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٤٥/٢.

(٥) موضع بالحجاز بين مكة والمدينة. الحموي، معجم البلدان، ٣١٣/٤ ؛ الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، ٣٠.

(٦) ابن ماجة، سنن، ٩٢٨/٢.

(٧) تعني من يركب البحر فتغشي نفسه حتى يدار به ويغشى عليه وإضراب السفينة بالأمواج، ابن منظور، لسان العرب، ٤١٢/٣.

(٨) أبو داود، سنن، ٥٥٩/١.

(٩) ابن ماجة، سنن، ٩٢٨/٢ ؛ العيني، عمدة القاري، ٨٨/١٤.

(١٠) النووي، المجموع، ١٦١/٩.

(١١) الواقدي، المغازي، ٢٤٩/١-٢٥٠؛ المقريزي، أمتاع الأسماع، ١٥٣/١.

(١٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ٤٢٥/٢ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٤١٩/١٢.

(١٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٤/٢.

(١٤) وقعت عام (٣٤هـ/٦٥٤م) بين المسلمين والروم. للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٧٨/٤١.

(١٥) ريان، وليم و والتر بتمان، طوفان نوح [عليه السلام]، ٩.

(١٦) المصدر نفسه: ١٨.

(١٧) الصدر، محمد باقر، شرح العروة الوثقى، ٥٥/٤.

(١٨) تاريخ، ٤٧٩/٣.

(١٩) المصدر نفسه، ٤٧٩/٣.

(٢٠) فتوح البلدان، ٣٣٩/٢.

(٢١) ابن حبيش، غزوات، ٥٢١/٢.

(٢٢) الطبري، تاريخ، ٤٤٦/٣.

(٢٣) للمزيد ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ١٨٠.

(٢٤) ابن حبان، الثقات، ٢٢٣/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١١٦/٧.

(٢٥) المزي، تهذيب الكمال، ١٧١/٩.

(٢٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٥٦/٢.

(٢٧) الطبري، تاريخ، ٩/٤.

(٢٨) المصدر نفسه، ٩/٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ٩/٤.

(٣٠) ابن منظور، لسان العرب، ١٠٦/١.

(٣١) الطبري، تاريخ، ٩/٤.

(٣٢) المصدر نفسه، ٩/٤.

(٣٣) ابن خلدون، تاريخ، ١٣٠/٢.

(٣٤) ينظر: ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة: مادة (كفر)، ١٩١/٥ ؛ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (كفر)، ٦٣.

(٣٥) سورة الحاقة، الآية: (١١).

(٣٦) ابن منظور، المصدر السابق ، مادة (طغى)، ٧/١٥.

(٣٧) ابن خلدون، تاريخ، ٩٦/٢.

(٣٨) استشهد فيها خلق كثير بين غريق وقتيل، للمزيد من التفاصيل ينظر: الشهرستاني، وضوء النبي (ﷺ)، ٤١٦/٢.

(٣٩) تسمى كتائب فيها كثير من الجند، مهمتها مراقبة رصد الطرق خوفاً من تمكن العدو بدخول قوات إضافية تعزز قواته. الحموي، معجم البلدان، ١٢٨/٥.

(٤٠) بطن من قضاعة القحطانية. القلقشندي، نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب، ١٣.

(٤١) كحالة، عمر، معجم قبائل العرب، ١٢٢.

(٤٢) الطبري، تاريخ، ٢١٥/٣.

(٤٣) ابن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، ٤٣٨.

(٤٤) الكامل في التاريخ، ٣٩٩/٢.

(٤٥) الطبري، تاريخ، ٢١٥/٣.

(٤٦) هو الحسين بن الحُمام بن ربيعة المرّي الذبياني، أبو يزيد: شاعر فارس جاهلي كان سيد بني سهم بن مرة من ذبيان، ويلقب مانع الضيم. نبذ عبادة الأوثان في الجاهلية توفى قبل الإسلام نحو (٦١٢م). ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ٢٤٧ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٢٦٠/٣ ، الزركلي، الأعلام، ٢٦٢/٢.

(٤٧) ابن أبي الحديد ، نهج البلاغة ، ٢٦٠/٣.

(٤٨) للمزيد من تفاصيل شعر الحماسة: ينظر، البحتري، حماسة البحتري، ٣٨ -٤١.

(٤٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٦١/٣.

(٥٠) اصطخر: بلدة بفارس، أول من أنشأها (طهمورت) ملك الفرس. الحموي، معجم، ٢١١/١.

(٥١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٧/٧.

(٥٢) سورة البقرة، الآية (٤٥).

(٥٣) ابن خلدون، تاريخ، ١١٠/٢.

(٥٤) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٣٩/٢.

(٥٥) ينظر: الطبري، تاريخ، ١٤٩/٣.

(٥٦) العسكري، مرتضى، عبد الله بن سبأ، ١٩٧.

(٥٧) ينظر: الطبري، تاريخ، ٤٤/٣.

(٥٨) ابن حبان، الثقات، ١٨٦/٢.

(٥٩) الطبري، تاريخ، ٢٤٢/٣.

(٦٠) الطبري، المصدر نفسه، ٢٤٢/٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٨٩/٢.

(٦١) الطبري، المصدر نفسه، ٢٤٢/٣.

(٦٢) المصدر نفسه، ٢٤٢/٣.

(٦٣) عوسج: ضرب من الشجر يكثر فيه الشوك يعيش في البراري، وله ثمر احمر مدور كأنه العقيق. أبن أعثم، كتاب الفتوح، ١٠٩/١.

(٦٤) المصدر نفسه، ٢٤٣/٣.

(٦٥) ابن حبان، الثقات، ١٨٧/٢.

(٦٦) كسر أوله وسكون ثانيه، وهي موضع بالشام، حصلت بها وقعة كبيرة للمسلمين مع الروم، روى الحموي أن الاسم أعجمي كونه لم يرد في لغة العرب، وكان تحرير فحل بيوم سميّ يوم الردغة، ينظر الحموي، معجم البلدان، ٢٣٧/٤.

(٦٧) صحابي جليل شهد المشاهد مع رسول الله (ﷺ)، أحد كبار قادة الفتوح والتحرير، لاسيما في بلاد الشام. توفي بسبب الطاعون ودفن في بلدة عمواس من كور فلسطين عام (١٨هـ/٦٣٩م). للمزيد ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٠٨/٥ ؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٣٦/٣.

(٦٨) تاريخ، ٢٦٠/٣ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٦٢٦/٢.

(٦٩) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٧٠) تاريخ، ٢٦٠/٣-٢٦٤؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٠٦/٢.

(٧١) الطبري، المصدر نفسه، ١٠/٣.

(٧٢) فتوح البلدان، ١٨١/١.

(٧٣) ابن حزم، المحلى، ٣٤٧/١١.

(٧٤) ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ٣٤٩/٢.

(٧٥) ينظر: ابن الدمشقي، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي [عليه السلام]، ٢١١/٢.

(٧٦) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ١١٦-١٢٤.

(٧٧) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٩٣١/٤.

(٧٨) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٨٨/٢.

(٧٩) ينظر: الطبري، تاريخ، ٢٧٣/٤.

(٨٠) ابن مزاحم، وقعة صفين، ١٦١.

(٨١) ابن حاتم العاملي، الدر النظيم، ٣٥٩.

(٨٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٣٩٢/٢.

(٨٣) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ عمرو بن العاص، ٢٤٥.

(٨٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٢٠/٣.

(٨٥) احمد، عدنان محمد، الأشتر النخعي، حياته وشعره، ٧.

(٨٦) ينظر: تاريخ اليعقوبي، ١٨٨/٢.

(٨٧) المصدر نفسه، ١٨٨/٢.

(٨٨) المصدر نفسه، ١٨٨/٢.

(٨٩) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٤٠/٣٢.

قائمة المصادر والمراجع:

خير ما نبتدأ به:

القران الكريم:

المصادر الأولية:

- ابن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله البغدادي، المعتزلي، (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م):

١- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري الشيباني، (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

٢- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٣- الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م).

- ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن الكوفي، (ت: ٣١٤هـ/٩٢٦م):

٤- كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).

- ابن حاتم العاملي، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز الشامي (٦٧٦هـ/١٢٧٧م):

٥- الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، [د. ت]).

- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م):

٦- الثقات، تحقيق: شرف الدِّيْن أحمد، دار الفكر، (بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

• ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م):
٧- غزوات ابن حبيش، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٢ه/١٩٩٢م).
• ابن حجر، العسقلاني شهاب الدِّيْن أبو الفضل (ت: ٨٥٢هـ/١٤٢١م):
٨- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٢ م).
• ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م):
٩- المحلى، تحقيق: احمد محمد شاكر، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، [د. ت].
• ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الاشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
١٠-تاريخ ابن خلدون، المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار القلم، ط٥، (بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
• ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م):
١١-تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء، مؤسسة الرسالة، دار القلم، (دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م).
• ابن الدمشقي، شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد الشامي الشافعي (ت: ٨٧١هـ/١٤٦٦م):
١٢-جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (قم، ١٤١٥هـ).
• ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ/١٠٠٤م):
١٣-معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٩م).
• ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م):
١٤-الطبقات الكبرى، تصحيح: ادوارد سخو، (ليدن، ١٣٢١هـ).
• ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م):
١٥-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
• ابن عبد الحكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القرشي المصري (ت: ٢٥٧هـ/٨٧١م):
١٦-فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
• ابن عبد المنعم، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحِميري الصنهاجي (ت: ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):
١٧-الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مطبعة دار السراج، (بيروت، ١٩٨٠م).
• ابن قتيبة الدنيوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م):
١٨-الشعر والشعراء، شرح: احمد محمد شاكر، (د. ط)، (مصر، د. ت).
• ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت: ٥٧١هـ/١١٧٥م):
١٩-تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
• ابن كثير، عماد الدِّيْن أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
٢٠-البداية والنهاية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة عيسى البابي، (القاهرة، ١٣٨٤/١٩٦٤م).
• ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م):
٢١-سنن ابن ماجة، ضبطها: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٣، (بيروت، ٢٠٠٩ م).

- ابن مزاحم، نصر المنقري (ت: ٢١٢هـ/٨٢٧م):

٢٢-وقعة صفين، تحقيق: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة المدني، (القاهرة، ١٣٨٢هـ).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدِّيْن محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م):

٢٣-لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار صادر، (بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام البصري الحميري (ت: ٢١٨هـ/٨٣٣م):

٢٤-السيرة النبوية، تحقيق: مصطفي السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م):

٢٥-سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله الفزاري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م):

٢٦-نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة، (القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).

- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد الطائي البحتري المنبجي (ت: ٢٨٣هـ/٨٩٦م):

٢٧- حماسة البحتري، ضبط: كمال مصطفى، المكتبة التجارية الكبرى، (القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م).

- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م):

٢٨-فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م).

- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ/١٠١٤م):

٢٩- المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

- الحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي (ت: ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م):

٣٠- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، (بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).

- الحموي، أبو عبد الله شهاب الدِّيْن ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٣١- معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م).

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م):

٣٢-مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٣، دار العلم، (دمشق، ١٤٢٤هـ).

- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ/١١٤٣م):

٣٣-الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: إبراهيم السامرائي، د. ط، (النجف الأشرف، ١٩٦٨م).

- السرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل (ت: ٤٩٠هـ/١٠٩٦م):

٣٤-المبسوط، تحقيق: خليل محي الدين الميس، دار الفكر للطباعة، (بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م):

٣٥- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: علي المهنا، ط٢، الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م).

- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م):

٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، [د. ت]).

- المتَقِيّ الهندي، علاء الدين علي بن عبد الملك (ت: ٩٧٥هـ/١٥٦٧م):

٣٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مطبعة جمعية دائرة المعارف العُثمانية، (حيدر آباد الدكن، ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م).

- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود الأصفهاني (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م):

٣٨- بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٨٣م).

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

٣٩- إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

- المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي (٧٤٢هـ/١٤٣١م):

٤٠- تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٠/١٩٨٠م).

- النووي، أبو زكريا محيي الدِّيْن بن يحيى بن شرف الشافعيّ (ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٧م):

٤١- المجموع شرح المهذب، دار الفكر، (بيروت، [د. ت]).

- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ/٨٢٢م):

٤٢- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب (بيروت، [د. ت]).

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م):

٤٣- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

المراجع الحديثة:

- حسن، حسن إبراهيم:

٤٤- تاريخ عمرو بن العاص، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

- ريان، وليم و والتر بتمان:

٤٥- طوفان نوح، مراجعة وإشراف: يوسف توما، مطبعة النهار الجديد، (بغداد، ٢٠٠٥م).

- الزركلي، خير الدين:

٤٦- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، دار الملايين، ط١٥، (بيروت ٢٠٠٢م).

- السامرائي، إبراهيم:

٤٧- دراسات في اللغة، مطبعة العاني، (بغداد، ١٣٨١هـ/١٩٦١م).

- الشهرستاني، علي:

٤٨-وضوء النبي (ﷺ)، د. ط، (قم، ١٤١٥هـ).

- الصدر، محمد باقر:

٤٩- شرح العروة الوثقى، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

- العسكري، مرتضى:

٥٠- عبد الله بن سبأ، نشر مطبعة التوحيد، (بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- علي، جواد:

٥١- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار السامي، ط٤، (بيروت، ٢٠٠١م).

- كحالة، عمر:

٥٢- معجم قبائل العرب، دار العلم، (بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

المجلات والدوريات:

- أحمد، عدنان محمد:

٥٣- الأشتر النخعيّ، حياته وشعره، (مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية)، المجلد (٢٧)، العدد الأول، (اللاذقية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

Abstract

The Arab Muslim‹s Fearing from water Till (41 A.H/ 661 A.D)

The topic of water is one of the vital topics in the historical records though it scarcely mentioned and the fear is in touch with it either it was dominant on the character of the Arabic individual or it was guided to the context of the historical events.

The fear was not consequent from something unknown, but it causes belonged to what was precipitated in the mind of Arabic individual about streams that contributed in distending the factor of fear. It is not far from the mind of Arabs ,what was recited in the Holy Quran is the story flooding in addition to the various legend in the civilization of Mediterranean region , therefore the concept of water is equivalent to the fear in Arabs.

In the induction of the historical records that studied water, the structure of these texts constitute allusive that its elements which can be isolated to diagnose its indications because water in these records from either a part from space to the historical novel due to it is motivated to be studied.

The matter does not stop to this point but water mentioned as a problem of the historical event, therefore, it is observed that water does not take its natural worth, so it is motivated to be studied.

The present research is divided into introduction and two sections. The introduction is a brief of fear of water in the mission era. The first section is about "The prohibition from crossing Water " it includes the topics that leaders and Khulafa talked about crossing water fearing of death.

The second section is about the factor of fear and hesitation. It stated the struggle of Arab person between the fear of water and the factor of fear from its penetrating that leads to death. Finally, the conclusion summed up the most important results that researcher has reached.

تاريخ استلام البحث:- ٢٠١٥/٥/٢٠
تاريخ قبول البحث:- ٢٠١٥/٨/٤